العلاقات الدلالية
بين ألفاظ الإبدال الصوتي في القرآن الكريم

م.د. ابتهال كاصد ياسر الزيدي*

تاريخ قبول النشر ٢٠٠٨/٥/٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين،

أما بعد فإنّه لابدّ قبل البدء بالبحث من أن أمهِّد له بتعريف أهم المصطلحات الواردة فيه:

أولها: العَلاقة:

وهي مصدر مشتق من علق الشيء يعلَقُ علَقاً، وعلِق به عَلاقة: أي نشبَ فيهِ ولزمَهُ(١)، وفي هذا المصدر صيغتان: إحداهما (عَلاقة) بفتح العين، والأخرى (عِلاقة) بكسر العين. ولكلّ من الصيغتين استعمالها الخاص، ((فالمفتوح يستعمل في الأمور الذهنية، والمكسور في الأمور الخارجية))(٢)، أو بعبارة أخرى أنّ العلاقة بكسر العين تستعمل في الأشياء الحسية، وبفتحها في الأشياء المعنوية(٣).

والمعنويات هي الأشياء المدركة بالعقل، أو بالنفس، فنقول: إنّ بين اللفظين عَلاقة، أي: يتعلّق أحدهما بالآخر برابط يربطهما.

ثانيها: الدلالة:

وأصلها في اللغة من: دلَّهُ على الطريق يدُلُّهُ دَلالة ودِلالة: أي أوصله إلى معرفته به، وأبانه له بأمارة(٤). وهي في الأصل لا تختص باللغة فقط، وإنّما هي عامة في كلّ ما يوصِل إلى المدلول، قال الجاحظ: ((ومتى دَلَّ الشيء على معنى، فقد أخبَرَ عنه وإن كان صامتاً، وأشار إليه وإن كان ساكناً))(٥).

والدلالة في الاصطلاح هي: ((ما يُتوَصَّلُ به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، والإشارات، والرموز الكتابية، والعقود في الحساب))(٦)، وهي في تعريفات السيد الجرجاني ((كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول))(٧).

وقد عرف العرب مصطلحات الدلالة والدليل منذ عصر ما قبل الإسلام وظهرت في كتاباتهم بعد ظهور الإسلام. وأقدم إشارة إليها ما ورد في كتاب سيبويه في ((باب اللفظ للمعاني))(١)، حين أولى بنية الكلمة عناية باللغة تمكنه من التفرقة الدلالية بين أصناف الألفاظ، وجسد الأهمية الكبرى للمعنى الذي هو أحد مكونات الدلالة.

ثم تبلور مفهوم الدلالة على نحو واضح عند ابن جني (ت٣٩٢هـ) الذي عني بدلالات الألفاظ وعقد لذلك باباً في خصائصه، قسم فيه الدلالة على ثلاثة أقسام معتمداً على قوة كل دلالة وضعفها، مبيّناً ((أنّها في القوة والضعف على ثلاثة مراتب، فأقواهنّ: الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية))(٢).

ثالثها: الإبدال الصوتي:

---

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/جامعة بغداد

(١) ينظر : لسان العرب:ابن منظور (علق) ٢٦١/١٠.

(٢) الكليات: أبو البقاء الكفوي ٣ / ٢٧٧.

(٣) ينظر : التعريفات:الشريف الجرجاني ٨٨.

(٤) ينظر : العين:الفراهيدي (دلل)٨ / ٨، ومقاييس اللغة (دلّ):ابن فارس٢ / ٢٥٩، ولسان العرب (دلل)١١ / ٢٤٧ ـ ٢٤٩.

(٥) البيان والتبيين١/ ٨١ ـ ٨٢.

(٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم : الراغب الأصفهاني (دلّ)١٧١ .

(٧) التعريفات ٦١.

(١) الكتاب: سيبويه ١ / ٢٤.

(٢) ٣ / ١٠٠.

وهو عملية وضع صوت أو مقطع لغوي مكان صوت،أو مقطع لغوي آخر في كلمة واحدة، بما يؤدي إلى تغيير دلالتها. وتقع هذه العملية في الصوامت والصوائت معاً، وتقوم على فكرة المغايرة والمخالفة، إذ تستعمل كل وحده صوتية بكيانها الخاص وصورتها المستقلة. وهي من الوسائل التي تعين اللغة على تنويع مفرداتها والتفريق بينها لتكون أداة تفاهم وتعبير صالحة بإجراء التبادل بين أصواتها بأن تغير صور الكلمات فتتغير معانيها ويكون لكل صوت منها قيمته اللغوية(٣).

وتقوم ظاهرة الإبدال الصوتي على نظام فونيمي دقيق، والفونيم: هو أصغر وحدة صوتية قادرة على التمييز بين كلمتين مختلفتي المعنى(٤).

وتعد ظاهرة (التغيير الفونيمي) عامة في كل اللغات، إذ لايستقيم النظام اللغوي إلا إذا قام أساساً على قياسات مختلفة تعمل على التنويع والتنسيق وربط التغير الصوتي بالتغير الدلالي(٥). وهو ما كان جلياً في اللغة العربية التي تميّزت عن غيرها من اللغات في طائفة من صيغها بمرونة وقدرة على التنوع في دلالة الصيغة الواحدة على عدة معانٍ، من خلال إبدال أحد فونيماتها بمقابل استبدالي للفونيم الأصلي يتسبب في تغيير معنى الكلمة، ويحمل في إطاره شيئاً من المعنى الجديد(٦)، ليكون اختلاف المباني دليلاً على اختلاف المعاني.

وتحدث ظاهرة الإبدال الصوتي على أساس التقارب بين الأصوات المتبادلة في الغالب، إذ تلتقي الأصوات بخصائص مشتركة وتتباعد بخصائص أخرى، وإذا تحقق للصوتين أساس القرابة الذي يجمعهما أمكن لأحدهما أن يتبادل مع الآخر سواء في شكل ورود كل منهما في صورة من صور الكلمة أو في شكل حلوله محله(١).

وما يعنينا هنا هو بيان أثر ذلك الصوت في توليد معنى خاص ودلالة جديدة مع بقاء شيء من المعنى العام يلاحظ في جميع تنوعاته، أو بمعنى آخر ما يعنينا هو الإبدال الذي يحدث عنه تحوير في المعنى وتنوع في القصد، والاختلاف والتنوع هنا مقصودان، تتناسب فيهما حروف كل أصل لغوي مع المعنى الذي يراد من ألفاظ اللغة أن تؤديه.

ومدار بحثنا في هذا التنوع من الإبدال الصوتي هو القرآن الكريم، وللبناء الصوتي في القرآن الكريم أهمية بالغة ومكانة مميزة، فقد عني ((بالجرس والإيقاع عنايته بالمعنى، وهو لذلك يتخير الألفاظ تخيراً يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتسقة مع جوّ الآية، وهو السياق، بل جو السورة كلها في كثير من الأحيان))(٢).

إنّ أهم ما يميز القرآن الكريم دقة استعماله الألفاظ، إذ يتخير لكلّ سياق ما يناسبه من الألفاظ، بل يتخير له ما يناسبه من الأصوات، حتى نجد في كثير من الأحيان ((الحرف الواحد معجز في موضعه ؛ لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ويمسك الآية والآيات الكثيرة، وهو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً))(٣)ولعل هذا يدعونا إلى القول: إنّ لغة القرآن الكريم لغة صوتية تصويرية دالة وذات تأثير نفسي كبير.

ويلحظ في مواضع كثيرة من كتاب الله الحكيم وقوع إبدال صوتي بين الألفاظ في السياق الواحد، ولايُقصَد به الإبدال اللهجي الذي كان معروفاً بين القبائل المختلفة، في نحو: صقر وسقر، وصراط وسراط، والذي عُرف فيما بعد لدى القراء، وإنّما نحن بصدد الإبدال الصوتي المقصود لغايات دلالية والوارد في سياق واحد، أو سياقات متقاربة، الذي يقوم على أساس التقارب في المخارج أو الصفات، والذي لم يأت اعتباطاً، بل على وفق المعاني المطلوبة التي فرضها السياق القرآني.

وتبيّن أنّ اختيار الألفاظ المبدل منها يقوم على أساس ارتباطها بعلاقات دلالية مع الألفاظ المبدلة، وإنّ دراسة العلاقات الدلالية داخل المجال الدلالي الواحد من الأمور المهمة المتعلقة بعلم الدلالة، إذ تختلف هذه العلاقات من استعمال إلى آخر بحسب أنواع الألفاظ ومعانيها التي يقصدها المتكلم، وبحسب حال المتلقي وفهمه، وهي تتضمن بوجه عام: الاشتراك، والترادف، والتقارب، والتناظر، والتقابل. ويمكن تقسيم العلاقات الدلالية بين الألفاظ القرآنية التي وقع فيها الإبدال الصوتي على الوجه الآتي:

أولاً: التقابل الدلالي:

---

(٣) ينظر: علم الأصوات العام : بسام بركة ١٦٩.

(٤) ينظر: الفونيم بين النحو العربي القديم وعلم اللغة الحديث : عبد المنعم ناصر ٧٩ (بحث).

(٥) ينظر : دروس في الألسنية العامة : دي سوسير ١٨٣.

(٦) ينظر : اللغة العربية : معناها ومبناها : تمام حسان ٧٦ ـ ٧٧.

(١) ينظر: الفروق اللغوية مع ملحق بها : علي كاظم مشري ٢٥٩ (أطروحة دكتوراه).

(٢) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن : كاصد ياسر الزيدي ٣٣٥ (بحث).

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى الرافعي ٢١١.

التقابل في اللغة: هو التواجُه بين شيئين، والمُقابلة: المُواجَهة(١). والمُقابلة والتَقابُل بمعنى واحد، فهو قُبالتك وقُبالك، أي: تِجاهَك(٢).

أمّا في الاصطلاح، فاللفظان أو التركيبان المتقابلان هما ((اللذان يجتمعان في شيء واحد من وجهة واحدة))(٣). ومثالها: الأرض،والسماء، والليل،والنهار، والخير، والشر، والسواد،والبياض وغيرها، وتعد ظاهرة التقابل الدلالي من الظواهر المميزة في اللغات عامة، واللغة العربية خاصة، وهي تقوم على أساس التقابل والمواجهة بين عناصر لغوية، وتضم تحتها دلالات متعددة منها: المطابقة، والتضاد، والتناقض، والتخالف(٤).

وقد تنبه القدماء إلى هذه الظاهرة وتناولوها بالدرس والتحليل في القرآن الكريم وفي أشعار العرب، منهم أبو هلال العسكري الذي عرَّف التقابل بأنه: ((إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى على وجه الموافقة، أو المخالفة))(٥)، وحدد الراغب الأصفهاني لهذه الظاهرة أربعة أنواع: ((الضدّان كالبياض،والسواد، والمتناقضان كالضِّعْف والنِّصْف، والوجود والعدم كالبصر والعمى، والموجبة والسالبة في الأخبار نحو كل إنسان هاهنا، وليس كل إنسان هاهنا))(٦).

وقد ورد نوعان من علاقات التقابل الدلالي بين الألفاظ المتبادلة في القرآن الكريم، هما:

أ ـ التقابل بالضدّ:

وهو تقابل يقوم على التناقض المعنوي بين لفظين متضادين أحدهما عكس الآخر في المعنى، قال الخليل: ((الضدّ كل شيء ضادّ شيئاً ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار، إذا جاء هذا ذهب ذاك))(١).

وقد أوضح أبو الطيب اللغوي معنى التضاد وميّزه من الخلاف، حيث أشار إلى أنّ: ((ضدَّ كلّ شيء مانافاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل،والشجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشيء ضدا له، ألا ترى أنّ القوة والجهل مختلفان وليسا ضدّين، وإنّما ضدّ القوة الضعف وضدّ الجهل العلم، فالاختلاف أعمّ من التضاد، إذ كان كلّ متضادين مختلفين، وليس كلّ مختلفين ضدَّين))(٢)؛ وفرّق الراغب الأصفهاني بين التقابل والتضاد تفرقة العام عن الخاص، فالتقابل أعمّ وأشمل من التضاد ؛لأنه يشمل: التضاد،والتناقض،والتخالف (٣).

وفرّق أبو هلال العسكري بين التضاد والتناقض بقوله: ((إن التناقض يكون في الأقوال والتضاد يكون في الأفعال يقال: الفعلان متضادان، ولا يقال متناقضان، فإذا جعل الفعل مع القول استعمل فيه التضاد ...وحدّ الضدّين هو ما تنافيا في الوجود، وحدّ النقيضين القولان المتنافيان في المعنى دون الوجود ...))(٤)، ثم فرّق بين التنافر والتضاد فقال: ((الفرق بينهما أن التنافي لا يكون إلا بين شيئين يجوز عليهما البقاء، والتضاد يكون بين ما يبقى وما لايبقى))(٥). وهذا يعني أنّ أهل اللغة متفقون على أنّ الألفاظ المتضادة لاتجتمع في مكان واحد وفي وقت واحد.

ومن الألفاظ القرآنية التي وقع فيها الإبدال الصوتي وترتبط بينها بعلاقة التضاد أوالتقابل بالضد:

١ ـ أتقى وأشقى:

اتّقى مشتقة من وقى، وهو: الحذر. وقد توقيت واتقيت الشيء واتَّقيتُهُ وأتّقيهِ: حَذِرتُهُ، والاسم: التقوى(٦)،وهي: جعل النفس في وقاية مما يُخافُ، وفي الشرع:هو حفظ النفس عمّا يؤثم بترك المحظور وترك بعض المُباحات(٧). والتقي هو المتقي، والأتقى اسم التفضيل منه.

أما الأشقى فمشتقة من شقا، والشَّقاوَة بالفتح: ضدّ السَّعادة (١)، والشَّقاء: الشدّة والعسرة(٢).والشَّقيّ:هو فاقد السعادة في الدنيا،أو في الآخرة(٣)، والأشقى اسم التفضيل منه.

وقد ورد الإبدال الصوتي بين هذين اللفظين في قوله تعالى: ((**فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى● لايَصْلاهَا إلا الأشْقَى ●الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى● وَسَيُجَنَّبُهَا الأتْقَى ●الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى**)) [الليل: ١٤ـ ١٨].

والمعنى: أنّ الله ينذر الكافرين ويحذرهم من نار تستعر وتلتهب وتتوقد ويزيد وهجها ولا يدخلها إلا الكافر بالله، وهو أشقى الأشقياء(٤)، وعلامة الشقي ((الكفر بالرسالة، وعصيان

---

(١) ينظر : الصحاح:الجوهري (قبل) ٥/١٧٩٥ـ ١٧٩٧.

(٢) ينظر: لسان العرب (قبل) ١٤ / ٥٧.

(٣) التعريفات ١١١.

(٤) ينظر : التقابل والتماثل في القرآن الكريم : فايز القرعان ١٥، ١٦، ٧٨.

(٥) كتاب ا لصناعتين ٣٤٦.

(٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن(ضدّ) ٣٠١ .

(١) العين (ضد) ٧ /٦.

(٢) الأضداد في كلام العرب ١/١.

(٣) ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن (ضدّ) ٣٠١ .

(٤) الفروق في اللغة ٣٦.

(٥) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٦) ينظر: لسان العرب(وقى) ١٥/ ٤٠٢.

(٧) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن(وقى) ٥٦٨ .

(١) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن(شقا) ٢٧١، ولسان العرب ١٤/ ٤٣٨ (شقا).

(٢) ينظر: لسان العرب (شقا)١٤/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩.

(٣) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن(شقا) ٢٧١.

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه:الزجاج ٥ / ٢٥٧، والميزان في تفسير القرآن:محمد حسين الطباطبائي ٧ / ٣٧٨.

الشريعة، وهو الذي (كذّب وتولّى). أي كذّب بقلبه ولسانه وتولّى بعمله ومواقفه، وهذا سوف يحترق بلهيب جهنم ويصطلي بحرّها ؛ لأنّه لم يصنع لنفسه من دونها ستراً من الإيمان، وصالح الأعمال))(٥).

وسيتجنب هذه النار المتلظّية من كان في درجة عالية من التقوى، وهو قوي الإيمان شديد التقوى الذي ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله، ولا يفعل ذلك إلا طلباً للتزكية منه جلّ وعلا لكي يطهر قلبه من البخل والشح، وابتغاء ثوابه سبحانه وتعالى(٦).

ويُلحظُ أنّ في الآيات تقسيماً ثنائياً إلى من اتصف بقوة الإيمان، فهو الأتقى، ومن اتصف بالإصرار على الكفر والعصيان، فهو الأشقى. وفي هذا التقسيم حالتان متقابلتان تقابل الضد وضدّه، وقد سوّغ التقارب بين مخرجي الشين والتاء وقوع الإبدال بينهما، فالشين صوت شجري(٧) أو غاري(٨)، من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى(٩)، والتاء بقربه من بين طرف اللسان وأصول الثنايا(١٠).

٢ـ رَتَق وفَتق:

الفَتقُ: هو الشَّقُّ والفَصلُ بين المتَّصلين، وهو ضد الرَّتْق(١). أمّا الرتق فهو إلحام الفتق وإصلاحه(٢)، وهو((الضَّمُّ والالتحام خلقةً كان أم صَنعةً))(٣)، والفرق بين الفَتق والرَّتق أنّ الأول ((يكون بين الشيئين اللذين كانا ملتئمين أحدهما متصل بالآخر، فإذا فُرِّق بينهما فقد فُتِقا))(٤)، أمّا الرَّتق فهو ((مصدر رَتَقَ رَتْقاً، إذا لم يكن بينهما فُرْجَةٌ))(٥).

وقد ورد الإبدال الصوتي بين هذين اللفظين في وصف خلق السماوات والأرض في قوله تعالى: **((أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ))** [الأنبياء: ٣٠].

والمعنى: أنّ السموات والأرض كانتا مجتمعتين ملتصقتين لافضاء بينهما، ففصلهما الخالق العظيم جلّ جلاله بالهواء، فرفع السماء ووضع الأرض(٦). وقيل: إنّ السموات كانت متلاصقة فيما بينها، وكذلك الأرضون لا فراغ بينها، ففتقها الله وجعل بينها فُرجات(٧).

وقيل أيضاً: إنّ كل سماء كانت على حدتها رتقاً لا تمطر، وكلّ أرض كانت على حدتها رتقاً لا تنبت ففتق الله السماء بالأمطار وفتق الأرض بالنبات(٨).

والإبدال هنا بين صوتي الفاء والراء، وهما صوتان رخوان، الأول مهموس والثاني مجهور، غير أن الفاء حرف تفشٍ ؛ولذا هي دائماً توحي بالفصل بين الأشياء،لاسيّما إذا اجتمعت مع اللام والراء في نحو:فلَّ، وفَلَجَ، وفَلَحَ،وفَلَعَ، وفَلَقَ، وفَرَعَ، وفَرَقَ .

أما الراء فبدلالتها على التكرار واتحادها مع التاء والقاف الشديدين دلّت على الضمِّ والالتحام، ونجد مثيل هذه الدلالة في نحو: رَتَبَ، ورَقَعَ، ورَصَفَ، ورَصَّ.

٣ ـ رَغَبَ ورَهَبَ:

أصل الرَّغبة: السَّعة في الشيء. يُقال: رَغِبَ الشيء إذا اتَّسَع، وحوض رَغيب: أي واسع، والرَّغبة والرُّغبى: السَّعة في الإرادة (١)، ورغِب في الشيء: أرادَهُ وطَمَعَ فيه، ورَغِبَ عنه: تركَهُ، والرَغْبُ والرَّغبةُ: الضَّراعةُ والمَسألةُ، والرَّغائب: مايُرغَبُ فيه من الثواب العظيم(٢)

والرَهْبُ:لفظٌ يدلُّ على الخوف، يقال: رهِبَ يَرهَبُ رَهْبةً ورُهباً ورَهَباً، أي: خاف(٣)

وهي عند الراغب: مخافةٌ مع تحرّز (٤).

وقد ورد الإبدال الصوتي بين اللفظين في قوله تعالى: **((فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارعُونَ فِي**

---

(٥) التبيان في تفسير القرآن:الطوسي ١٨ / ١٥٤.

(٦) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ٧ / ٣٧٨، ومن هدي القرآن: محمد تقي المدرسي ١٨ / ١٥٥.

(٧) ينظر : العين ١/ ٥٨.

(٨) ينظر : دراسة الصوت اللغوي :أحمد مختار عمر ٢٧١.

(٩) ينظر : الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(١٠) ينظر : الكتاب ٤/ ٤٣٣، ودراسة الصوت اللغوي ٢٦٩.

(١)ينظر: (فتق)معجم مفردات ألفاظ القرآن٣٨٥،ولسان العرب١٠/ ٢٩٦،وتاج العروس:مرتضى الزبيدي٢٦/٢٧١.

(٢) ينظر: لسان العرب (رتق) ١٠/ ١١٤ .

(٣) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن(رتق) ١٩٢ .

(٤)، (٥) الفروق في اللغة ١٤٣.

(٦) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٧/٢٤٢، ومجمع البيان: الطبرسي ٤/٤٣. .

(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه٣/٣١٦، والكشاف: الزمخشري ٢/٣٢٦.

(٨) ينظر : معاني القرآن للفراء ٢/١١٣، وجامع البيان : الطبري١٧ / ١٩، والكشاف ٣ / ٣٢٦.

(١) ينظر: (رغب)الصحاح ١/ ١٣٧،ومقاييس اللغة ٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٠٤.

(٢) ينظر: لسان العرب(رغب) ١/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣.

(٣) ينظر: (رهب) العين ٤/٤٧،والصحاح ١/ ١٤٠، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٤٧، ولسان العرب ١/ ٤٣٦.

(٤) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن(رهب) ٢٠٩ .

الْخَيْـرَاتِ وَيَـدْ ُونَنَا رَغَبًـا وَرَهَبًـا وَكَـانُوا لَنَـا خَاشِعِينَ)) [الأنبياء: ٩٠].

جاءت هذه الآية في وصف نبي الله زكريا وزوجه اللذين كانا مؤمنين، وضمّا إلى فعل الطاعات والمسارعة فيها أمرين: أولهما: الفزع إلى الله تعالى رغبةً في ثوابه، ورهبةً من عقابه، وثانيهما: الخشوع، وهو المخافة الثابتة في القلب. فكانوا مطيعين ومسارعين إلى الخيرات خاشعين خاضعين لله[٥].

وفسّر الزمخشري[٦]: هذه الآية تفسير القرآن بالقرآن فقال: هو كقوله تعالى (**يَحْذَرُ الآ خِرَةَ ويَرْجو رَحْمَةَ رَبِّهِ**) [الزمر: ٩]، فأشعر قوله بدلالة الرغبة على رجاء الرحمة، ودلالة الرهبة على الحذر، والخوف من العذاب.

والرغَب والرهَب مصدران كالرغبة والرهبة، بمعنى الطمَع والخوف، فإن بقيا على دلالتهما المصدرية يُعربا تمييزاً، وإن كانا بمعنى الفاعل يعربا حالاً. أي أنّهما يدعوان الله راغبين راهبين.

ويُلحظ في هذا الإبدال أنّ الغين جاءت مع الفعل الدال على إرادة الشيء والطمع فيه، على حين جاءت الهاء مع الفعل الدال على الخوف والهلع، وكأنّ الهاء تحاكي رجفة القلب الخائف، إذ تليق صفة الهمس بهاجس الخوف الخفي في قلب المؤمن الخاشع، على حين تليق صفة الجهر في الغين بالرغبة والطمع في رضا الله وثوابه الذي يجهر به العبد الصالح جهراً في صلاته، وتقواه، وعبادته، وطاعته لله.

فجاء الفعلان في الآية متضادين، لكنهما يكمّلان بعضهما بعضاً في وصف الحالة النفسية لعباد الله الصالحين عامة، ولزكريّا وزوجه خاصة.

٤ـ َسُر ويَسُر:

العُسْرُ في اللغة هو: الضِّيقُ والشدَّةُ والصعوبةُ[١]. والعُسرَةُ: تَعَسُّرُ وجودِ المال، وتعاسَرَ القومُ: طلَبوا تَعسيرَ الأمرِ[٢].

أمّا اليُسرُ فهو ضدُّ العُسرِ، واليَسيرُ: السهلُ، والمَيسَرةُ واليَسارُ: الغِنى[٣].

وقد ورد هذان اللفظان في سياق واحد في قوله تعالى: **((فَإِنَّ مَ َ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَـ َ الْعُسْرِ يُسْرًا))** [الانشراح: ٥ ـ ٦].

ومعنى الآية: أنّ أصحاب النبي (صلى الله علية وآله وسلم) لمّا كانوا في ضيق شديد بشّرهم الله تعالى أنّه سيكون مع العسر يسراً. وروي عن ابن عباس (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: ((لا يَغلبُ عُسرٌ يُسرَين))[٤]؛ لأنّه حمل العُسر في الآيتين على أنّه واحد ؛لكونه معرفاً بالألف واللام، واليُسر نكرة وفي تثنيته فائدة ؛ لأنّ الثاني غير الأول. ورُوي أنّ العرب تقول: إذا ذكرت نكرة ثمّ أعدتها مثلها صارتا اثنتين كقولك: إذا اكتسبت درهماً فانفق درهماً، فالثاني غير الأول، وإذا أعدتها معرفة، فهي كقولك: إذا اكتسبت درهما فانفق الدرهم، فالثاني هو الأول [٥].

وقد أشار الزجاج إلى هذا المعنى فقال: ((فذكر العسر مع الألف واللام ثم ثنى ذكره، فصار المعنى بأنّ مع العسر يُسرين))[٦].

ويعلل الرازي ذكر هذين اللفظين معاً بقوله: ((واليسر لا يكون مع العسر ؛ لأنّهما ضدّان فلا يجتمعان، ولمّا كان وقوع اليسر بعد العسر بزمان قليل، كان مقطوعاً به فجعل كالمقارن له))[١]، إذ إنّ دخول (مع) على لفظة (العسر) فيه إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر وكأنّه مقارن له[٢]، وسمّيت المعية هنا معية التوالي التي تشير إلى التحقق في زمن متقارب جداً يكاد يكون واحداً[٣].

وبين العُسر واليُسر كما هو واضح تقابل بالضد، وقد جاء اللفظان يحاكيان بحروفهما معناهما، فالعين صوت حلقي مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة[٤]، ويعد من أنصع الأصوات وأطلقها جرساً[٥]، وقد حاكت نصاعته وقوته وعلو جرسه وصف الضيق المادي الذي يمر به الإنسان المحتاج وأثره في حياته، على حين جاء الياء وهو صوت شجري[٦] أو غاري[٧]، مجهور رخو ليّن [٨]، و يعدّ من أسهل الحروف نطقاً، وأكثرها اتساعاً

---

[٥] ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٧ / ٢٧٥، ومجمع البيان ٤ / ٦٠، والتفسير الكبير: الفخر الرازي ٢٢ / ١٨٣.

[٦] ينظر: الكشاف ٣٣٦/٢.

[١] ينظر : لسان العرب(عسر) ٤ / ٥٦٣ .

[٢] ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن(عسر) ٣٤٦ .

[٣] ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن (يسر)٥٧٦، ولسان العرب (يسر) ٥ / ٢٩٧.

[٤] صحيح البخاري ١٨٩٢/٤، والفائق في غريب الحديث :الزمخشري ٤ / ١٢٧.

[٥] التبيان في تفسير القرآن ١٠ / ٣٧٣.

[٦] معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٦٠.

[١] التفسير الكبير ٣٢ / ٢٠٩.

[٢] ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم :أبو السعود ١٧٣/٩.

[٣] ينظر : الميزان ٢٠ / ٤٥٠.

[٤] ينظر : العين ٥٨/١، والكتاب ٤٣٤/٤، ٤٣٣.

[٥] ينظر : العين ٥٨/١

[٦] ينظر: العين ٥٨/١، والكتاب ٤٣٣/٤.

[٧] ينظر: دراسة الصوت اللغوي ٢٧١.

[٨] ينظر: الكتاب ٤/ ٤٣٤، ودراسة الصوت اللغوي ٢٧١.

في مجرى الهواء، فحاكى وصف الاتساع المادي وسهولة العيش للإنسان الميسور وأثره في حياته.

ب ـ التقابل بالخلاف

يدخل في ضمن التقابل لدى قدماء اللغويين ما أطلقوا عليه اسم (الخلاف) على نحو قول الراغب: ((الجنّ خلاف الإنس))(٩).

والخلاف حقل دلالي عام يتضمن المتغاير من الألفاظ، وهو تدخل في ضمن التقابل، فاللفظان المتقابلان قد لايكونان متضادين أو متناقضين، بل يكونان مختلفين متغايرين، فليس الإنس في مثال الراغب نقيضاً للجن. كما يذكر التهانوي(١٠). بل بينهما اختلاف تغاير لا اختلاف تضاد. وهذا مذهب المتكلمين الذين جعلوا الاختلاف ((كون الموجودين غير متماثلين، أي غير مشاركين في جميع الصفات النفسية وغير متضادين أي غير متقابلين))(١١).

وعرّفه الراغب الأصفهاني فقال: ((الاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله،والخلاف أعمّ من الضدّ ؛لأنّ كل ضدّين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدّين))(١).

وممّا ورد في القرآن الكريم من ألفاظ الإبدال الصوتي في سياق واحد ويخضع لعلاقة التقابل بالخلاف:

ـ ١خرق و خلق:

الخَرْقُ لغة:هو الفُرْجَةُ والشَّقُّ في الثوب، أو في الحائط. وانخرقت الريح: هبّت على غير استقامة، والتخرّق لغة في التخلّق من الكذب، وخرق الكذب، وتخرّقه: اختلقه.(٢) وعرّفه الراغب بأنّه: قطع الشيء على سبيل الفساد ومن غير تدبر ولا تفكر(٣). قال تعالى: **((قَالَ أَ خَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا))** [الكهف: ٧١].

والخلق: أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء على مثال لم يسبق اليه، من غير أصل ولا احتذاء، (خلق السموات والأرض) أي أبدعها أو ابتدعها. وكلّ شيء خلقه الله فهو مبتدئه، والخالق بالألف واللام صفة لاتجوز لغير الله جلّ جلاله(٤) .

وقد ورد اللفظان في قوله تعالى: **((وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ لْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَّا يَصِفُونَ))** [الأنعام: ١٠٠]، وتقدير الآية: ((وجعلوا الجنّ شركاء لله وما ينبغي أن يكون لله شريك لامن الجنّ ولامن غيرهم))(٥).

والمعنى: أنّهم جعلوا الملائكة أنداداً وشركاء لله فعبدوهم، وقالوا: إنّهم بنات الله، وقالوا: إنّ الله خالق الخير وإبليس خالق الشر، وقد خلقهم . ثم وصف فعل المشركين بأنّهم: خرقوا لله، أي: اختلقوا لله بنين وبنات، فإنّ المشركين قالوا: الملائكة بنات الله، وأهل الكتابين من المسيحيين واليهود قالوا: المسيحُ وعُزَيرُ أبناءُ الله(٦). ومعنى خرقوا: اختلقوا وكذّبوا وافتروا عليه(١)، وأجاز الزمخشري ((أن يكون من خرَقَ الثوبَ، إذا شقَّه، أي: اشتقُّوا له بنينَ وبنات))(٢).

وعدّ الشريف الرضي قوله تعالى((وخرّقوا)) استعارة ؛لأنّ المراد أن المشركين ادّعوا واتسعوا في دعوى البنين والبنات لله تعالى بغير علم، وهم كاذبون في ذلك(٣).

وقُرئت الآية (وخرّقوا له) بتشديد الراء للدلالة على التكثير(٤)، لقولهم مالم يعلموا حقيقته، جهلاً منهم بعظمة الله سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

وروي عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قرأ الآية فقال: (وحرّفوا له) بالحاء والفاء. وقد علق ابن جني على هذه القراءة فقال: ((هذا شاهدٌ بكذبهم، ومثله: **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ نْ مَوَاضِعِهِ**(٥) وأصله من الانحراف، أي الانعدال من القصد، وكلاهما من حرّف الشيء ؛ لأنه زائل عن المقابلة والمعادلة، وهو أيضاً معنى قراءة الجماعة (وخرقوا) بالخاء والقاف، ومعنى الجميع كذّبوا))(٦).

ولو نظرنا إلى اللفظين من الجانب الصوتي، لوجدنا أنّ اجتماع الخاء والراء والقاف في (خرق) يدل على معنى القطع بغير حق، أو القطع على سبيل الفساد ؛ لأنّه يوحي بقطع الشيء على غير المألوف، فالخاء بقوة احتكاكها المميزة

---

(٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن(أنس) ٢٨ .

(١٠) ينظر:كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي ٣٣١/١.

(١١) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن (خلف) ١٥٧٢.

(٢)ينظر: لسان العرب(خرق) ٧٣/١٠ ـ ٧٥ .

(٣) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن(خرق) ١٤٧ .

(٤) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن(خلق) ١٥٨ ، ولسان العرب(خلق) ١٠ /٨٥.

(٥) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ٢٧٧.

(٦) ينظر : مجمع البيان ٢ / ١٤٤.

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٢٢١، والتفسير الكبير ١٧ / ٩٢، والميزان ٧ / ٣٠٦.

(٢) الكشاف ٥٢٠/١.

(٣) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن ٣٨.

(٤) ينظر : مجمع البيان ٢ / ١٤٤، وكنز الدقائق: محمد بن محمد رضا ٤ / ٤٠٧.

(٥) النساء : ٤٦.

(٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١ / ٢٢٤.

لصوتها، والراء بتكرارها وجهرها والقاف بشدتها ونصاعة جرسها عبّرت عن المعنى خير تعبير.

٢ـ محص ومحق:

والمَحصُ في اللغة: تَخليصُ الشيء مما فيه من عيوب، ومنه مَحَصْتُ الشيءَ ومَحَّصْتُهُ، إذا خلّصته ونقّيته مما به من شوائب(٧).

والمَحْقُ: المحو والإبطالُ، ومحقَ الشيءَ: أبطلَهُ ومحاهُ حتى لم يبقَ منه شيء، وقال ابن الأعرابي: المَحقُ أن يذهبَ الشيء كلّه حتى لا يُرى منه شيء(٨)، وأصلُ المحق: فناء الشيء حالاً بعد حالٍ، ولذا دخله معنى النقصان(١)، فقالوا: المحقُ: النقصانُ وذهابُ البركة، وشيءٌ ماحِقٌ:ذاهبٌ(٢)، ومنه قوله تعالى: **(يَمْحَقُ اللّهُ الرِّبَا ويُرْبِي الصَّدَّقَاتِ)**[البقرة:٢٧٦].

وقد ورد اللفظان في قوله تعالى: **((وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ))**[آل عمران: ١٤١]، وفيه وصف لحال المسلمين يوم أحد، فحين وقعت هذه المعركة الرهيبة المؤلمة قاتل المجاهدون الصادقون بشهامة وبسالة وصدق واستشهدوا وحققوا أمانيهم، على حين أنّ المنافقين لمّا رأوا علامات الهزيمة فرّوا هاربين خوفاً وجبناً تاركين الساحة للعدو، فنزلت هذه الآية توبّخهم وتعاقبهم.

والمعنى: أنّ الله جعل الأيام مداولة بين الناس ينقلها من واحد إلى آخر ؛ ليمحِّص المؤمنين بما يقع عليهم من قتل في حربهم،أو ألم في ذهاب أموالهم، فيطهِّرهُم من ذنوبهم ويزيلها عنهم، وهويمحق الكافرين ويستأصلهم فلا يبقي منهم أحداً(٣).

وفي الآية تقابل دلالي بالخلاف اتفق عليه العلماء والمفسرون، وإنّما قوبل بين المحص والمحق ؛ لأنّ محص هؤلاء بإهلاك ذنوبهم نظير محق أولئك بإهلاك أنفسهم(٤). إذ إنّ ارتقاء المؤمنين في مدارج الخلوص والطهر ومراتب التقوى والصفاء يقابل انزياح الكفر والشرك واندثار معالمهما وآثارهما عن ساحة الحياة الاجتماعية. وهذا ما أراد القرآن إثباته في الجملتين اللتين تختلفان في المعنى ولكنهما متعلقتان بعضاً ببعضهما الآخر، إذ الأولى تمثل السبب والثانية النتيجة.

ثانياً: التقارب الدلالي:

يوجد في اللغة العربية ألفاظ كثيرة تتقارب معانيها وتتدانى دلالاتها، وتجد كلاً منها جديراً بأن يعبِّر عن معنى خاص، أو ملحظ دقيق لاتتخلى عنه المفردة في كثير من مواقع الكلام، وهذه المزية تحفظ للألفاظ طاقاتها التعبيرية، التي تؤهلها للاستعمال في السياقات المختلفة، بما يؤكّد دقة اللغة العربية في استعمال الألفاظ واستيفاء المعاني التي تلبي حاجة المتكلّم، ويمنح هذه اللغة قوة وجمالاً، ويفسّر سرّ ديمومتها وتجددها، وقدرتها المعجزة في تأدية وظيفتها الدلالية.

إنّ هذا التقارب يدعونا إلى الوقوف على الفروق بين دلالات تلك الألفاظ ؛ لأنّه يؤدي إلى ((المعرفة بوجوه الكلام والوقوف على حقائق معانيه والوصول إلى الغرض فيه))(١)، إذ تظل الحدود بين تلك الألفاظ للدارسين بيّنة واضحة المعالم، ففي كل منها معنى خاص ((وليس الأمر إلا تراكباً للمعاني والتقاءً جزئياً لمعنى الكلمتين، ثمّ افتراقاً بين الكلمتين عند هذا الجزء من المعنى))(٢).

وقد عني علماء العربية القدماء بدراسة الفروق بين الألفاظ المتقاربة في اللغة عامة وفي القرآن الكريم خاصة ، وكتبهم زاخرة بذلك، وما يهمّنا هنا هو اختلاف المفردات بصوت واحد، يختلف في الصفة، أو المخرج، ويكون لهذا الاختلاف تأثير صوتي دلالي واضح. وقد عُني ابن جني بهذه الظاهرة وسمّاها (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، وأكّد أن المعاني المتقاربة دائماً تكون بين ألفاظ وأصوات متقاربة، وأنّ العرب قد أدركوا ذلك واستعملوا الحرف الأقوى مع المعنى الأقوى، والحرف الأضعف مع المعنى الأضعف، ومثّل لها (بأزّ وهزّ، وأسف وعسف)(٣). وقد أيّد القول بهذه الدلالة طائفة من المحدثين وألّفوا فيها كتباً متنوعة.(٤)

وعدّ الزمخشري الألفاظ المتقاربة أخواتٍ(٥)؛ لأنهنّ من أصلٍ واحدٍ، وعلّق الشريف الجرجاني في حاشيته على الكشاف بأنّ قول الزمخشري (أخوات)، يعني: مترادفات، والترادف هنا يعني التقارب والتناسب في المعنى،لا الاتحاد

---

(٧) ينظر : لسان العرب(محص) ٧/ ٩٠ ،

(٨) ينظر : تاج العروس(محق) ٢٦ / ٣٧٨.

(١) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٣ / ٣.

(٢) ينظر: لسان العرب(محق) ١٠/ ٣٣٨.

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١ / ٣٩٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/٤، وإرشاد العقل السليم ٢/ ٩١.

(٤) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٣ / ٣، والتفسير الكبير ٩ / ٣٧٤.

(١) الفروق في اللغة ٩.

(٢) الأصول : تمام حسان ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٣) ينظر: الخصائص ٢/ ١٤٧.

(٤) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك ٢٦١، ودراسات في فقه اللغة : صبحي الصالح ١٥٩، الساق على الساق في ماهو الفارياق: أحمد فارس الشدياق ١/ ١ـ٢.

(٥) ينظر : الكشاف ١/ ٣٧ ، ٢/ ٢٩١، والفائق ٢/ ٣٩، ٤٦، ٥١، ٦١، والدراسات النحوية عند الزمخشري:فاضل السامرائي ٣٦٦، والفروق اللغوية مع ملحق بها ١٦٤

والاتفاق(٦). وهذا ماوافقه فيه المحدثون الذين عدّ بعضهم الألفاظ المتقاربة النوع الثالث من أنواع الترادف(٧) ؛ لأنها صورة للترادف الناقص، أو غير التام.

وقد تجلّت ظاهرة قوة اللفظ لقوة المعنى في القرآن الكريم على نحو واضح تبعاً لحاجة السياق والصورة المعبّر عنها، ومن أمثلة الألفاظ التي بينها إبدال صوتي ويربطها التقارب الدلالي:

١ـ أدّ وهدّ:

الأدُّ والإدُّ: العُجبُ،والأمرُ الفظيعُ العظيمُ ،والداهيةُ(١)،وهوالأمر المنكر الذي تقع فيه جلبة، من قولهم: أدّت الناقة تئدُّ،أي: رجّعت حنينها ترجيعاً شديداً(٢). والإدُّ بالكسر والفتح، العظيم المُنكر، وأدّني الأمر وآدّني: أثقلني وعظُم عليّ(٣).

والهدُّ: هدمٌ شديدٌ له وقع،وسقوط شيء ثقيل كالحائط مثلاً، والهَدّةُ: صوتُ وقعِهِ.أي الذي يُسمع من سقوط ركن،أو حائط (٤).

وقد ورد اللفظان في سياق واحد في قوله تعالى: **((وقالوا اتَّخذَ الرّحمنُ وَلَداً● لقدْ جِئتُمْ شَيئاً إِدّاً ● تكادُ السَّمواتُ يَتَفطَّرنَ منْهُ وتَنشَقُّ الأرضُ وتخِّرُّ الجِبالُ هدّاً))** [مريم:٨٨ ـ ٩٠]. وفي الآية تهديد من الله تعالى للكفار الذين جعلوا له بنين وبنات وهم المسيحيون الذين قالوا: إنّ عيسى ابن الله، واليهود الذي جعلوا عُزيراً ابن الله، فقد توعّدهم في مواضع كثيرة في القرآن الكريم(٥)، وهو هنا جلّ وعلا يذكرهم بأسلوب شديد الرهبة، يدلّ على أنّ هؤلاء قد تجرّؤا على ما لايجرؤ عليه كائن في الأرض ولا في السماء، فقد تجرّؤا على خالقهم، ونسبوا إليه ما تنشقّ السماء وتخسف الأرض وتسقط الأرض لمجرد سماعه، وإنّما كان هذا الغضب الإلهي والانتفاضة الكونية ثورة على الشرك الذي صار ديناً وعقيدة لملايين من المشركين الذين يعتنقون المسيحية واليهودية ويؤمنون بهذا الكفر، لذا تجد أنّ كل عالم الوجود المبني على أساس التوحيد قد اضطرب وتصدع إثر هذه التسمية الكاذبة ؛ لأنّ الله لا يطلب الولد، فليس به حاجة إليه ؛فهو الخالق الأوحد القادر المقتدر الذي يحتاجه البشر،وهو الغني الحميد،وإنّ كلّ من في الأرض عبادٌ يأتون لله، طائعين لأمره، يطلبون رضاه ورحمته.

٢ـ أزّ وهزّ:

الأزّ: أزّت القدر تئزّ أزيزاً، أي أصدرت صوتاً من شدة غليانها. والأزّ: الإزعاج والتهييج، وهو الحثّ أيضاً، يقال: أزّه يؤزّه أزّاً، إذا هزّه ودفعه بالتهييج إلى أمر من الأمور(٦).

والهَزُّ: التحريكُ الشديدُ والاضطرابُ (١)، يقال: هزَزْتُ الرّمحَ فاهتزَّ، وهزَزْتُ فلاناً للعطاء(٢).

وقد ورد هذان اللفظان في سورة مريم في سياقين مختلفين، استدعى الإبدال بينهما تبعاً للسياق الوارد، إذ قال تعالى في آية (٢٥) في قصة مريم (عليها السلام): **((وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْ ِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ لَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا))**، في حين قال في آية (٨٣) في موضع الحديث عن الكافرين **((أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ لَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا))**.

وتتحدث الآية الأولى عن امرأة في حالة وضع أوحى الله إليها أن تهزّ نخلة جرداء بقربها، لتساقط بإذنه تعالى عليها رطباً تتغذّى عليه وتتقوّى به، وجاء لفظ (تهزّ) ملائماً للسياق الوارد فيه، بالهاء المهموسة الرخوة يحاكي ضعف تلك المرأة في الحالة التي هي عليها، وجاء إيقاع اللفظ هادئاً مسترسلاً مؤدياً الغرض المطلوب منه.

على حين استبدل هذا الإيقاع في مقام التهديد والوعيد والزجر فصار أكثر قوة وعنفاً(٣)، فجاء لفظ (أزاً) المصدر المؤكد لفعله قوياً هادراً بصوت الهمزة الذي يعدّ من أشد الأصوات وأشقّها في النطق وهو يحاكي عمل الشياطين في تهييج الكافرين ودفعهم إلى ارتكاب المعاصي

ويقول تعالى في هذه الآية:ألم تر يا محمد أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين، أي لمّا سمح الكفار للشياطين حتى أغووهم(٤)، فالإرسال هنا بمعنى التسليط(٥)،ولايقصد به الإرسال المتعارف عليه، إذ لايمكن أن يرسل الله الشياطين على الإنسان، وإنّما هو ضرب من المجاز(٦)وارد ((على الأسلوب القرآني الذي ينسب الأمور كلها لله انطلاقاً من علاقة الأشياء به من خلال قانون

---

(٦) ينظر: الكشاف ٣٧/١ (الحاشية).

(٧) ينظر : علم الدلالة : أحمد مختار عمر ٢٢٠.

(١) ينظر: لسان العرب(أدد) ٣/ ٧١ .

(٢) ينظر :معجم مفردات ألفاظ القرآن(أدّ) ٩.

(٣) ينظر : كنز الدقائق ٨ / ٢٧٣.

(٤) ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن(هدّ) ٥٣٥، ولسان العرب(هدد) ٣/ ٤٣٢.

(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٠٣،٢٨٢ ـ ٢٨٣، والكاشف: محمد جواد مغنية ٥ / ٢٠٠.

(٦) ينظر : لسان العرب (أزز)٥/ ٣٠٧ .

(١) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن(هزّ) ٥٤٠،ولسان العرب(هزز)٥/ ٤٢٣ .

(٢) ينظر :معجم مفردات ألفاظ القرآن(هزّ) ٥٤٠ .

(٣) ينظر: الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن: كاصد ياسر الزيدي (بحث) ٣٢٨.

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٨٢، والتبيان في تفسير القرآن ٧ /١٤٩، وإرشاد العقل السليم ٢٨١/٥ .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٨٢.

(٦) ينظر: التبيان ١٤٩/٧.

السببية التي أودعها الله في حركة الحياة والإنسان))[٧].

وذكر الزمخشري أنّ ((الأزّ والهزّ والاستفزاز أخوات))[٨]، أي أنهن متناظرات في المعنى، والواقع أنهن مشتركات في المعنى العام، ويفترقن في فروق دلالية جزئية ترافق كلا منهن، فالهزّ حركة شديدة خالية من الاستفزاز، والاستفزاز شعور نفسي ينتاب الإنسان حين تبعث فيه مشاعر غضب جياشة لأمر من الأمور، والأزّ أقواها، إذ يجمع بين الهزّ والاستفزاز معاً.وقد أكّد الراغب هذا الفارق الدلالي حين قال: ((وازّه أبلغ من هزّه))[١]

ولذا يمكن القول: إنّ العلاقة الدلالية بين الأزّ والهزّ هي ليست التناظر، بل هي التقارب الذي تتجلى فيه قوة المعنى تبعاً لقوة اللفظ.

وهو ما أكّده ابن جني بقوله: ((أزّ وهزّ والهمزة أخت الهاء ؛ لأنّ مخرجها من الحلق، وقد تقارب اللفظان ليدلا على معنيين متقاربين يرجعان إلى أصل واحد، لتقارب المعنيين، كأنّهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ، لأنك قد تهزّ ما لابال له كالجذع وساق الشجرة))[٢].

٣- أغنى وأقنى:

الغنى: ضدّ الفقر،وهو اليسار في المال [٣] والقنا: والقنوة، والقنوة، والقنية،والقنية: الكسبة. وقنوت الشيء قنواً، واقتنيته: كسبته، وله غنم قنوة، أي: خالصة له ثابتة عليه [٤]. والقنى: هو المال المدّخر [٥].

وقد ورد اللفظان في سياق تعداد نعم الله على البشر، في قوله تعالى: ((**وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى**)) [النجم: ٤٨]. وتعددت الآراء في تفسيرهما، إذ روي عن ابن عباس(رضي الله عنه) أنّ المراد بـأغنى: أنّه أغنى من الفقر، أي رزق الإنسان بالمال، وقيل بالعافية والقوة والمعرفة[٦]، والمراد بـأقنى: أنّه أرضى، أي جعل له غنى فرضي وقنع[٧].

وذكر بعض المفسرين أنّ المراد بـأقنى: أنّه جعل له قنية، أي صار المال أصلاً ثابتاً لصاحبه[١]. وعن الراغب أنّ المعنى((أعطى مافيه الغنى ومافيه القنية،أي:المال المدخّر...))[٢]. ودلالة الاقتناء واضحة في المادة بصريح لفظها، ولايكون إلاّ لما يُعزُّ ويُصان ويُدّخر ؛لقيمته ونفعه المادي والمعنوي.

والاقتناءُ:هو جعلُ الشيء للنفس على الدوام، والقنيةُ: مايدوم من الأموال،ويبقى ببقاء النفس كالدار،والبستان،والحيوان[٣].

ويرى الفخر الرازي أنّ هذين اللفظين متناسبان مع معنييهما، لأنّه((لمّا كان مخرج القاف فوق مخرج الغين، جعل الإقناء لحالة فوق الغنى... وفي الجملة كلّ مادفع الله به الحاجة فهو إغناء، وكلّ مازاد عليه فهو إقناء))[٤]، إذ الغين أعمق مخرجا من القاف ؛ لأنها من وسط الحلق، والقاف لهوية تقترب من حروف الفم [٥].

وهذا يؤيد قول ابن جني: إنّ الألفاظ في القرآن الكريم تأتي على سمت الأحداث ، إذ إنّ القنى لمّا كان زائدا على الغنى في الدلالة استعمل معه الحرف الأقوى وهوالقاف الشديد، في حين استعمل مع الغنى الحرف الأضعف وهو الغين الرخو.

ومن المَلاحِظ الدلالية في هذه الآية أنّ الفعلين المتعديين وردا وقد حذف مفعوليهما، وهذا أسلوب من أساليب العرب التي استعملت في كتاب الله تعالى الكريم، الغاية منه ((إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرّض لحديث المفعول))[٦]،إذ إنّ((كل موضع كان القصد فيه أن يثبت المعنى في نفسه فعلاً للشيء وأن يخبر بأنّ من شأنه أن يكون منه أو لايكون إلاّ منه... فإنّ الفعل لايعدّى هناك؛ لأنّ تعديته تنقص الغرض وتغيّر المعنى))[٧]، والمعنى أنّ منه تعالى الإغناء عامة، والإقناء عامة.

٤- نهى ونأى:

النَّهيُ في اللغة :((الزَّجرُ عن الشيء))[١]، وهو خلاف الأمر، نهاهُ ينهاهُ فانتهى، ومنه: نَهَوْتُه

---

[٧] من وحي القرآن: محمد حسين فضل الله ٨٠/١٥.

[٨] الكشاف ٢٩١/٢ .

[١] معجم مفردات ألفاظ القرآن(أزّ) ١٢ .

[٢] الخصائص ٢ / ١٤٦.

[٣] ينظر: لسان العرب(غني) ١٥/ ١٣٦ .

[٤] ينظر: لسان العرب(قنا) ١٥/ ٢٠١ ـ ٢٠٣.

[٥] ينظر:معجم مفردات ألفاظ القرآن(قنى) ٤٢٩ .

[٦] ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٤٣٨.

[٧] ينظر:معاني القرآن وإعرابه٥/ ٦٢،وإعراب القرآن:أبو جعفر النحاس ٤/ ١٨٨،والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١١٩

[١] ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٦٢/٥.

[٢] معجم مفردات ألفاظ القرآن(قنى) ٤٢٩.

[٣] ينظر التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٤٣٨، ومجمع البيان ٥/ ١٨٢، والميزان ١٩/ ٥٣.

[٤] التفسير الكبير ٢٩/ ٢٨٢.

[٥] ينظر: العين ١/ ٥٨، والكتاب ٤/ ٤٣٣، ودراسة الصوت اللغوي ٢٧٠، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: غانم قدوري ١٩٩.

[٦] دلائل الاعجاز ١٦٩.

[٧] المصدر نفسه : الصفحة نفسها.

[١] معجم مفردات ألفاظ القرآن(نهى) ٥٢٨ .

عن الأمر بمعنى نَهَيْتُه، وتناهَوا عن الأمر وعن المنكر: نهى بعضهم بعضاً (٢).

والنَّأيُ:هوالبُعدُ، نَأى ينأى: بَعُدَ، والنأي: المفارقة، وتناءَوْا: تباعَدوا(٣).

وقد ورد اللفظان في قوله تعالى: **((وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ))** [الأنعام: ٢٦]، والآية في موضع وصف موقف الكفار من القرآن فهم ينهون الناس عن اتباع القرآن، وقبوله، والتصديق بنبوة نبيّه، ويبعدون عنه بعداً شديداً إلى حيث لايسمعونه خوفاً من أن يؤثر فيهم، فيسبق إلى قلوبهم الإيمان به والعمل بصحته. وهم لايعلمون أنّهم يتسبّبون بإهلاك أنفسهم ببقائهم على الجهل ومحاربتهم الفضيلة، وقد أعمى أعينهم غطاء التعصّب(٤).

وقد ((عبّر القرآن عن ذلك بكلمتين متقاربتين يُشعر قربهما بقرب معنييهما))(٥)، فالقرب المعنوي بين اللفظين بيّن للقارئ مع فارق دلالي دقيق ناتج عن إبدال صوت واحد منهما، إذ جاء النهي بالهاء المهموسة الرخوة للتعبير عن النهي المعنوي بالقول، في حين جاء النأي بالهمزة الشديدة التي تعدّ أشق الأصوات على الناطق بالعربية للتعبير عن البعد الفكري والجسدي معاً، أي المادي والمعنوي، وممّا لاشك فيه أنّ الجهد المبذول في البعد الجسدي أكبر من الجهد المبذول في البعد اللفظي، ولذا جاء الإبدال الصوتي محاكياً هذه الدلالة.

٥- همزَ ولمزَ:

اللّمزُ في اللغة:الاغتيابُ، وتَتَبُّع المُعاب(٦)، وهو كالغَمز في الوجه، تلمزُهُ بفيكَ بكلامٍ خفيٍّ. وأصلهُ: الإشارةُ بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي،ورجلٌ لُمَزَةٌ: يُعيبُكَ في وجهك.(٧)

والهَمْزُ: كالعَصر يقال: هَمَزْتُ الشيءَ في كفّي: أي عَصَرتُهُ، ومنه هَمْزُ الحرفِ، وهَمزُ الإنسان: اغتيابُهُ، أوغَمزُه في الغيبِ، ورجلٌ هُمَزَة: الذي يخلف الناس من ورائهم ويأكل لحومهم. وهَمزَهُ: دفعَهُ، ومنه همزات الشياطين: دفعُهم الناس وإغواؤهم إلى المعاصي(١)

وعن المبرّد أنه قال: ((الهَمْز هو أن يهمزك الإنسان بقول قبيح من حيث لا تسمع، أو يحثه ويرشده إلى أمر قبيح، أي: يغريه به، واللمز: أجهر من الهمز، وفي القرآن: (همزات الشياطين)، ولم يقل: لمزات؛ لأنّ مكايدة الشيطان خفية))(٢)، واستدلّ أبو هلال العسكري(٣) بصحة قول المبرد بما نقله عن قتادة في تفسير اللّمْز في قوله تعالى: **((وَمِنهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدّقَاتِ))** [التوبة:٥٨]،بأنّه يطعن عليك، والطعن مجهور به غير مستتر، وهذا يعني أنّ اللّمز أجهر من الهمز صوتياً ودلالياً..

وقد ورد اللفظان في قوله تعالى: **((وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ))** [الهمزة: ١]، وفي الآية وعيد وتهديد من الله تعالى لمن يتصف بهاتين الصفتين الذميمتين، قال الطوسي: ((الهُمَزَةُ: الكثيرُ الطعن على غيره بغير حق، العائب له بماليس فيه عيب ؛ لجهله وسفهه وشدة إقدامه على مكاره غيره))(٤)، وذكر الطبرسي أنّ بين اللفظين فرق إذ ((إنّ الهُمَزَةَ الذي يعيبُك بظهر الغيب، واللُمَزَةَ الذي يعيبُك في وجهك))(٥) .

وقد نقل الرازي(٦)أقوال العلماء في هذين اللفظين وأهمها: قول ابن عباس: إنّ الهُمَزَةَ المغتابُ واللُّمَزَةَ العيّابُ، وقول أبي زيد الأنصاري: إنّ الهُمَزَةَ باليد، واللمزة باللسان، وقول أبي العالية: إنّ الهُمَزة بالمواجهة، واللُّمَزة بظهر الغيب، وخلُصَ من تلك الآراء إلى أنّ جميع هذه الوجوه متقاربة، وأنّ اللفظين يرجعان إلى أصل واحد هو الطعن وإظهار الغيب سواء كان بالجدّ أو بالسخرية(٧). وأنّ بينهما قاسماً مشتركاً هو إيذاء الناس بالطعن في أعراضهم بالقول أو الفعل(٨).

ويُلحظ في هذا التعبير القرآني أنّ اللفظين وردا على صيغة (فُعَلة) بفتح العين التي تستعمل في صفات الفاعل، على حين تستعمل صيغة (فُعْلة) بسكون العين في صفات المفعول(١). فالهُمَزة اللُمَزة هو المغتاب الطعّان في الناس، والهُمْزة اللُمْزة هو الذي يغتابه الناس ويطعَنون فيه. وعلاقة التقارب المعنوي واضحة بين هذين اللفظين، وهي التي سوّغت توالي الصفات في آية واحدة.

ولو أنعمنا النظر في قول المبرد: إنّ اللّمز أجهر من الهَمز لوجدناه على حق، سواء أكان يريد بذلك الدلالة المعنوية أم الدلالة الصوتية ؛ لأنّ اللام

---

(٢) ينظر: لسان العرب(نهي) ١٥/ ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٣) ينظر: لسان العرب(نأي) ١٥/ ٣٠٠ .

(٤) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٤/ ١٠٦، ومجمع البيان ٢/ ٢٨٧.

(٥) ينظر: البناء الصوتي في البيان القرآني : محمد حسن شرشر ٩٧.

(٦) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن(لمز) ٤٧٤.

(٧) ينظر :لسان العرب (لمز)٤٠٦/٥.

(١) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ٥٤٤، ولسان العرب ٥/ ٤٢٥ - ٤٢٦ (همز).

(٢) الفروق في اللغة ٤٤، ولم أعثر على نص المبرد في أي من كتبه.

(٣) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٤) التبيان في تفسير القرآن ١٠ / ٤٠٦.

(٥) مجمع البيان ٥/ ٥٣٧.

(٦) ينظر:التفسير الكبير ٣ / ٢٨٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٨١ - ١٨٢.

(٧) ينظر:التفسير الكبير ٣ / ٢٨٤.

(٨) ينظر : الكاشف ٦٠٧/٧.

(١) ينظر : أدب الكاتب :ابن قتيبة ٤٣٥.

صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، والهاء صوت مهموس خفي رخو، وجاء كلا الصوتين في موقعهما المناسب، فالهاء تتناسب مع دلالة الكلمة على الاغتياب الخفي وعلى الإغواء النفسي الذي توحي به همزات الشياطين. على حين أنّ اللام جاءت متناسبة مع دلالة الكلمة على الطعن في العلن وأمام الناس سواء كان بالإشارة أم باليد أم باللسان، فجاء المجهور مع المعلن،والمهموس مع الخفي.

ثالثاً: لاقة التناظر:

التناظر في اللغة: مشتقٌ من نَظَرَ، وهو: ((تأمّل الشيء ومعايَنته))(٢)، والنظير: هو الشبيه الذي يبدو للناظر أنّه كالمثل، ويكون في الأفعال والأقوال والأشياء(٣)، وهو عند الشريف الجرجاني ((من النظير))(٤) ؛ لأنه كالشبيه لما ناظره ...

والألفاظ المتناظرة: هي الألفاظ المتقاربة المتشابهة في صفة معينة أو جانب دلالي مشترك، وهي المتقاربة إلى حدّ ما في المعنى الكلي أو الجزئي، سماها الزركشي (ت٧٩٤هـ)، الألفاظ المتواطئة(٥)، وسمّاها المحدثون شبه المترادفة(٦) ؛ لأنّها تشترك في معنى عام وتفترق في دقائق معنوية جزئية، فنظيرُ الشيءِ ليسَ الشيءَ نفسَهُ، إذ المثل ما يكافئ الشيء في ذاته، والنظير ما يقابله في جنس من صفاته أو أفعاله، كتناظر العلماء العاملين في مجال علمي واحد، فلا يقال عنهم متماثلون، بل هم متناظرون وإن اختلفت آراؤهم وتآليفهم(١).

وقد استعمل طائفة من علماء العربية هذا المصطلح في تفسير الألفاظ المتقاربة المعنى(٢).

ومن الألفاظ التي حدث فيها إبدال صوتي في القرآن الكريم وترتبط بعلاقة التناظر:

١- خنّس وكنّس:

الخَنس في اللغة يدلُّ على الانقباض والتستر(٣)، وهو الستر والخفاء والغيبة عن النظر(٤)، ولذا سمّي الشيطان خنّاس لدلالته على المبالغة في استتاره، ولأنه يخنس إذ ذكر الله جلّ وعلا فيذهب ويستتر(٥).

والكنس: كسح القمامة عن وجه الأرض، والمكنس: مولج الوحش من الظباء والبقر تستكنّ فيه من الحر، وهو الكناس، والجمع أكنسة وكنُس، وهو من ذلك ؛لأنّها تكنس الرمل حتى تصل إلي الثرى(٦). وهو بمعنى التستر والخفاء ليلاً، يقال: كنس الظبي إذا تغيب واستتر في كناسة(٧).

واستعير هذان اللفظان لوصف استخفاء الكواكب في النهار، وخفاء ضوئها عند غروبها، وهي الكواكب الخمسة: زحل،والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد التي تجري وتخْنُس في مجاريها حين يُخفيها ضوء الشمس،وتكنُس في مجاريها وقت غروبها (٨).

والخُنّس على زنة (فُعَّل) وهو جمعٌ لكلمتي: خانس وخانسة، والكُنَّس كذلك جمع لكلمتي كانس وكانسة. وكلاهما حمل دلالة الأصل اللغوي.

وقد ورد اللفظان في سورة التكوير بصورة التناظر الدلالي كناية عن الكواكب، فهما متناظران دلالياً ؛ لأنهما يحملان الدلالة نفسها على الخفاء والتستر، قال تعالى: **((فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ● الْجَوَارِي الْكُنَّسِ))** [التكوير: ١٥ ـ ١٦].

ويرى أكثر أهل التفسير أنّ أصل هذين اللفظين واحد، وهما صفتان من صفات الكواكب والنجوم(١)، وقد وردا مجتمعين في سياق واحد وبصيغة واحدة، وهي صيغة الجمع الاسمية (فعّل). ويفرق بينهما أن الكواكب تخنس بمعنى تختفي بطغيان نور الشمس عليها، وتكنس بمعنى تتوارى وتغيب في وقت غروبها، فهي تستتر بحلول الظلام.

٢- فَرِحَ ومَرِحَ:

---

(٢) مقاييس اللغة (نظر) ٥ / ٤٤٤.

(٣) ينظر : أساس البلاغة(نظر) ٤٦٢، ولسان العرب(نظر) ٥ / ٢١٩.

(٤) التعريفات ١٢٧.

(٥) البرهان في علوم القرآن ١ / ١٠٢.

(٦) علم الدلالة ٢٢٤.

(١) ينظر: الفروق في اللغة ١٤٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ١ / ١٤٩، ٢٥٣، ٢٦٤، والمخصص :ابن سيده ١ / ٤ / ٩٤ ـ ٩٥، وأساس البلاغة ٤٦٢، ومجمع البيان ١٠ / ١٣١، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٦٧.

(٣) ينظر العين ٤/ ١٩٩، ولسان العرب(خنس) ٧٢/٦.

(٤) ينظر : جمهرة اللغة: ابن دريد(خنس) ٢ / ٢٢١، ومقاييس اللغة(خنس) ٢ / ٢٢٣.

(٥) ينظر : الصحاح(خنس)٣ / ٩٢٥، ومقاييس اللغة(خنس) ٢ / ٢٢٣.

(٦) ينظر: لسان العرب(كنس) ٦/ ١٩٧، ١٩٨.

(٧)ينظر: جمهرة اللغة(كنس) ٣ / ٤٧، ولسان العرب(كنس) ٧ / ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

(٨) ينظر: أدب الكاتب ٧٤، والتلخيص في معرفة الأشياء: أبو هلال العسكري ١/ ٣٩٨، وتلخيص البيان ٢٧٢.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢٦،والجامع لأحكام القرآن ٢٣٧/١٩، وروح المعاني:شهاب الدين الآلوسي٣٠/ ٧٣

الفرحُ في اللغة: نقيضُ الحُزْن(٢)، وهو إنشراحُ الصدرِ بلذةٍ عاجلةٍ، وأكثر ما يكون في اللذات البدنية(٣)، وهو شعورٌ ينتابُ الإنسانَ إذا نالَ ما يتمنّاه، فيشعرُ بخفةٍ في قلبهِ، وهو البطرُ أيضاً، ومنه قوله تعالى: ((**ولاتَفْرَحْ إنَّ اللهَ لايُحِبُّ الفَرحينَ**)) (٣)[القصص: ٧٦].

أمّا المرح فهو شدة الفرح والتوسع فيه حتى يتجاوز قدره(٣)، وقيل: هو التبختر والاختيال، وهو الأشر والبطر (٤)، وهذا يعني أنّه يحمل معنى المبالغة في الفرح، ولذا فقد ورد الفعل في القرآن الكريم في موضع الذم ؛لأنّ المبالغة بالفرح قد حولت هذا الشعور إلى الخيلاء والغرور والتكبّر، قال تعالى: ((**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**))[الإسراء: ٣٧].

وقد ورد اللفظان في قوله تعالى: ((**ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ**)) [غافر: ٧٥].

يخاطب الله تعالى الكفار موبخاً لهم: بأن العذاب الذي نزل بكم جزاء بما كنتم تفرحون في الأرض بارتكابكم المعاصي، وبما كنتم تصيبون أنبياء الله من المكاره، فكنتم تفرحون بالباطل، وتمرحون وتبطرون في معاصي الله(٥).

وأشار الطوسي إلى أنّ ((الفرحَ بالحقّ لا يُوبَّخُ عليه،وأنّ المرحَ: الاختيالُ في السرور والنشاط))(٦)

ورُوي عن الإمام عليّ (عليه السلام): أنّ شُعَبَ الطمَع أربعٌ: الفرح والمرح واللجاجة والتكبُّر، كما روي عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنّ: الفرحَ والمرحَ والخُيلاءَ، كل ذلك في الشرك والعمل في الأرض بالمعصية(١).

وإنّ ورود اللفظين متتاليين في آية واحدة يدلّ على أنّهما متغايران، ولأنّهما من أصل واحد، فيمكن القول أنّهما لفظان متناظران، وليسا مترادفين، وهذا ماأكّده الشيخان الطوسي(٢).والطبرسي (٣) في تفسيرهما هذه الآية ؛ ولذلك((قيّدَ الفَرحُ وأُطلقَ المَرحُ ؛لأنّ الفَرحَ قد يكون بحقٍّ فيحمَدُ عليهِ، وقد يكونُ بالباطل فيُذمُّ عليهِ، والمرَحُ لايكونُ إلاّ باطلاً))(٤).

نخلص في ختام هذا البحث إلى أنّ الإبدال الصوتي ظاهرة صوتية دلالية مهمّة بُني عليها الأسلوب القرآني في مواضع عدة، وهي تقوم على أساس دلالي بحت يرتبط بالسياق، ويراعى فيه وجود علاقات دلالية مختلفة بين الكلمات المتبادلة صوتياً، فقد تكون تقابلاً دلالياً بالتضاد، أو بالخلاف، وقد تكون تقارباً دلالياً توضع فيه الأصوات على سمت الأحداث، ويختار فيه الحرف الأقوى للمعنى الأقوى،والحرف الأضعف للمعنى الأضعف، أو تكون العلاقة تناظراً دلالياً شبيها بالترادف.

وتُضفي هذه العلاقات على الآيات المتتابعة في سياق واحد رابطة دلالية تؤكد سمة التناسب الدلالي في كتاب الله بين الأصوات ومعانيها، وبين الألفاظ ودلالاتها، وبين الآيات وتراكيبها في سلسلة دلالية متناسقة، ومتآزرة، يأخذ بعضها برقاب بعضٍ ؛لتصبَّ جميعها في مصبٍّ واحد يعبّر عن الصور المطلوبة خير تصوير.

---

(٢) ينظر: العين(فرح) ٣/ ١٣، ولسان العرب(فرح) ٢/٥٤١.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن (فرح) ٣٧٥.

(٤) ينظر: لسان العرب(فرح) ٢/ ٥٤١.

(٥) ينظر: (مرح) العين ٣/ ٢٢٥، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن ٤٦٥، ولسان العرب ٢/ ٥٩١.

(٦) ينظر : لسان العرب(مرح) ٢/ ٥٩١.

(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٨٦، وإعراب القرآن ٤ / ٣١، ومجمع البيان ٤ / ٥٢٣

(٨) التبيان في تفسير القرآن ٩ / ٩٦.

(١) ينظر : كنز الدقائق ١١ / ٤١٦.

(٢) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٩ / ٩٦.

(٣) ينظر: مجمع البيان ٤/٥٢٣.

(٤) مجمع البيان ٨/ ٥٣٣، وينظر : كنز الدقائق ١١ / ٤١٦.

قائمة المصادر والمراجع :

ـ **القرآن الكريم**

ـ **أدب الكاتب**: ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الرابعة، ١٩٦٣م.

ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**: محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ **أساس البلاغة**: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت(٥٣٨هـ)،دار صادر، بيروت،١٩٧٩م.

ـ **الأصول: دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب**: د. تمام حسان، الهيأة المصرية العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.

ـ **الأضداد في كلام العرب**: أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي(ت٣٥١هـ)، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق ١٩٦٣م.

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، راجعه وصححه وضبطه: محمد سعيد العريان، مطبعة القائمة،ط٧، القاهرة ١٩٦١م.

إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٧م.

ـ **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**: ناصر مكارم الشيرازي،مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت ١٤١٣هـ.

ـ **الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن**:د. كاصد ياسر الزيدي، بحث في مجلة العرب العدد٥و٦ ،س٤٠، ذو الحجة ١٤٢٥هـ، شباط ٢٠٠٥م.

ـ **البصائر في تفسير كتاب الله**: يعسوب الدين رستكار جويباري، قم، المطبعة الاسلامية ١٤١٣هـ.

البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي(ت٧٩٤هـ)تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢م.

ـ **البناء الصوتي في البيان القرآني**:محمد حسن شرشر،دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٨٨م.

ـ **البيان والتبيين**: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي،مطبعة السعادة، القاهرة، ط٣، د.ت.

ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: أبو الفيض محمد بن مرتضى الزبيدي ت(١٢٠٥ هـ)، تحقيق: عبد الكريم العزباوي وآخرين.

ـ **التبيان في تفسير القرآن**: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد الأمين وأحمد حبيب قصير، المطبعة العلمية، ومطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٥م.

ـ **التعريفات**: أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني ت(٨١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦م.

ـ **التفسير الكبير**: الإمام الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)،دار إحياء التراث العربي،ط٤، بيروت، ٢٠٠١م.

ـ **تقريب القرآن إلى الأذهان**:السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، ط١، بيروت، ١٤٠٠هـ.

ـ **تلخيص البيان في مجازات القرآن**: الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، المكتبة العلمية، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٥م.

ـ **التلخيص في معرفة أسماء الأشياء**: أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق، ١٩٦٦م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥ هـ.

الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي(ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ.

الجرس والإيقاع في التعبير القرآني: د.كاصد ياسر الزيدي، مجلة آداب الرافدين، العدد٩ ، سنة ١٩٧٨م.

ـ **جمهرة اللغة**: أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد البصري(ت٣٢١هـ) طبعة بالأوفسيت، دار صادر، بيروت، د. ت.

ـ **الخصائص**: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ودار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٠م.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: د. غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، بغداد ١٩٨٧م.

ـ **دراسات في فقه اللغة**: د. صبحي الصالح، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ط٢.

الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري: د. فاضل السامرائي، مطبعة الإرشاد، دار النذير، ١٩٧١م.

ـ **دراسة الصوت اللغوي**: د. أحمد مختار عمر، عام الكتب، القاهرة، ط١ ١٩٧٦م.

ـ **دروس في الألسنية العامة**: فردينان دي سوسير، تعريب: صالح القرمادي ومحمد الشاوش،ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا ١٩٨٥م.

ـ **دلائل الإعجاز**: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية، مكتبة

سعد الدين، دمشق،ط٢ ١٩٨٧م.

ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**:شهاب الدين الآلوسي(ت١٢٧٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،د. ت.

ـ **الساق على الساق في ما هو الفارياق:** أحمد فارس الشدياق، المكتبة التجارية، مطبعة الفنون الوطنية، مصر، د. ت.

ـ **الصحاح**: تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)،دار الكتاب العربي، مصر، د. ت.

ـ **علم الأصوات العام ـ أصوات اللغة العربية**:د. بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت ١٩٨٨م.

ـ **علم الدلالة**: د. أحمد مختار عمر، دار العروبة للنشر والتوزيع، ط١.

ـ **العين:** الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي،دار الرشيد ،وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨١م.

ـ **الفائق في غريب الحديث**: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة،ط٢، لبنان.د.ت.

ـ **الفروق اللغوية مع ملحق بها**: علي كاظم مشري، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٠م.

فقه اللغة و خصائص العربية: د. محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٦٨م.

ـ **الفونيم بين النحو العربي القديم وعلم اللغة الحديث**: د. عبد المنعم ناصر، آفاق عربية، العدد ٨، السنة١٥،آب، بغداد ن ١٩٩٠م.

ـ **الكاشف**: محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣ ١٩٨١م.

ـ **الكتاب:**سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣م.

كتاب الصناعتين الكتابة والشعر:أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٧١م.

ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٨م.

ـ **كشاف اصطلاحات الفنون**: محمد علي التهانوي، مطبعة كلكتا، ١٨٦٣م.

ـ **الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)**: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ت١٠٩٤هـ)،أعده للطبع ووضع فهارسه د.عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٩٨م.

ـ **كنز الدقائق وبحر الغرائب**: الشيخ محمد بن محمد رضا القمي (من رجال القرن الثاني عشر)، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط١ طهران.د.ت.

ـ **لسان العرب**: جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت،ط١.

ـ **اللغة العربية معناها ومبناها**: د. تمام حسّان، مطابع الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٣م.

مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت(٥٤٨هـ)،بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٣٧٩هـ.

ـ **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٥هـ)، تحقيق:علي النجدي ناصف وآخرين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٨٦هـ.

ـ **المخصّص**: علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ) ندار الفكر، بيروت، د.ت.

ـ **معجم مفردات ألفاظ القرآن**: الحسين بن محمد بن الفضل المشهور بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، د.ت.

ـ **معجم مقاييس اللغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩م.

ـ **معاني القرآن**: أبو زكريايحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ)، تقديم وتعليق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.

ـ **معاني القرآن وإعرابه**:أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج (ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي،دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٤م.

ـ **من هدي القرآن**: السيد محمد تقي المدرسي، دار الهدى، ط١، ١٤٠٦هـ.

ـ **من وحي القرآن**:محمد حسين فضل الله، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع،ط٣،د.ت.

ـ **الميزان في تفسير القرآن**: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٩٧م.

The Semantic Relation among the Expressions Of the Phonetic in the Holy Quran

Inst. Dr. Ibtihal Gasid yasir Al –zaidi
Department of Arabic - College of Education for Women

Abstract

The phonetic replacement is the process of putting a sound or a linguistic syllable instead of another in one word that results in changing its meaning . It is one way of vocabulary varionsness and discrimination because replacement among the sounds of one expression and changing its image lead to change its meaning , and accordingly , each replaced sound has its own linguistic value that distinguishes it . In other words , the phonetic replacement is based on system of phonemic change which is a general phenomenon in all languages . The linguistic system doesn’t stand straight for word unless it is based on different standards that work on variousness , assortment and relating the phonetic change with the semantic change .

This phenomenon is quite clear in Arabic which is distinguished in its flexibility and power to be diverse in having one semantic expression with different meanings through replacing one phoneme in stead of the original phoneme to change the meaning , with having something of the old meaning to make the structure difference a proof of meaning difference .

The field of this research is the Holy Quran in which the phonetic structure has a power full and distinctive position and it is distinguished by the precise use of expressions .It chooses what is suitable for each context whether expressions or sounds . therefore, it can be said that the language of the Holy Quran is semantic , descriptive and phonetic with a great psychological influence .

It can be seen in different places of the Holy Quran having a phonetic replacement among the expression in one content the choice of the expressions replaced from a based on having semantic relations with the replaced ones .

The study of the semantic relations inside of the semantic sphere is one if the important issues related to semantic , and these relation differ according to the kind of expression , their meaning intended by the speaker and interpreted by the hearer such relations can be divided as mentioned in the holy Quran into the following :

1- the semantic meeting : it is a distinctive feature in all languages in general , and Arabic in particular and it is based on meeting and confrontation among the linguistic elements and is includes many semantic features like identically , contrast , contradiction and inconsistency in the expressions replaced on the bases of meeting two important relations are identified :
   a) meeting by contrast , Example : atka and ashka (أتقى وأشقى) ,rataka and fataka (رتق وفتق) , ragaba and rahaba (رغب ورهب) , asura and yasura (عسُر ويسُر) .
   b) meeting by contradiction , Example : kharak and khalak (خرق وخلق) , mahasa and mahaka (محص ومحق) ..
2- The semantic closeness : The close expressions are those expressions that are close in meaning but differ in one sound , Example : ada and hada (أدّ وهدّ) ,
3- The semantic analogy : the analogous expressions are those close in the general meaning or in a shared semantic side , but different in some sounds and such expressions are called semi – synonyms by some sounds authors ,Example : khunas and kunas (خنّس وكنّس) ,farah and marah (فرح ومرح) .

Finally , it is concluded that phenomenon of phonetic replacement is an important phonetic phenomenon on which the Quranic style is based on different places . It is based on pure semantic basis related with the context . In addition ,there should be different semantic religious among the expressions exchanged

phonetically and this adds , on the successive verses in one context , a semantic relation that emphasizes the semantic proportionality in the Quanic expression among the sounds and their meaning and the expressions and their significance.